

الفصل الثالث

العلم والتعليم في نظر الاسلام

الدين الاسلامى يامر بتعميم التعليم

ان الدين الاسلامى دين علم ونور لادين جهالة وظلمة فأول آية نزل بها الوحي فيها امر للرسول بالقراءة وتكرير لذلك الامر وتنويه بشأن العلم والتعليم نلمسه في اسناد التعليم الى الله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

وقوله تعالى مخاطباً نبيه محمد (صلعم) : « وقل رب زدنى علماً » وقوله : « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط » فبدأ عز وجل بنفسه ثم ثنى بالملائكة ، ثم ثلث بأهل العلم ، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً ونبلًا . وقال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » أى ولا يفهمها الا العلماء المثقفون . وفى مواطن كثيرة نوه القرآن الكريم بشأن العلماء وما لهم من منزلة رفيعة ومكانة سامية فقال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، فالعلم مقدس فى نظر الاسلام وهو أسمى شئ فى الحياة لدى المسلمين وللعلماء العاملين منزلة فى الاسلام تلى منزلة الانبياء . قال الرسول الكريم : (العلماء ورثة الانبياء) فرتبة العلماء تلى رتبة الانبياء ، وقد قيل ان العلماء يشفعون للناس يوم القيامة بعد الانبياء ، قال صلى الله عليه وسلم : (ان مداد العلماء لخير من دماء الشهداء) .

وقد دعا الرسول الكريم الى التعليم وأوجبه فقال : (اعلموا اولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) . ولم يفرق الاسلام فى طلب العلم بين الابناء والبنات فقد قال رسول الله : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) من غير تفرقة بينهما ، فالدين الاسلامى يطالب المسلم والمسلمة بالتعلم وطلب العلم والعمل به ، والاجتهاد فى نشره . ولم يقف الاسلام عند الدعوة الى نشر العلم والتعليم فحسب ، بل دعا الى الاستمرار فى طلب العلم والتعلم والبحث والاطلاع فقال الرسول : (لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل) . وقال : (يستغفر للمسلم ما فى السموات والارض) : قال الفزالى تعليقاً على هذا الحديث وأى منصب

يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له ؟
فالعالم مشغول بنفسه والملائكة مشغولون بالاستغفار له .

وكان صلى الله عليه وسلم ، يشجع التعليم بعمله وقوله فقد كان يطلق سراح الأسرى المتعلمين من الكفار اذا علموا بعض المسلمين القراءة والكتابة حرصا منه صلى الله عليه وسلم على ذبوع التعليم ونشره بين جمهرة المسلمين . ولم يفته أن يعطى المرأة حظها ونصيبها في تعليم القراءة والكتابة فقد سأل الشفاء العدوية أن تقوم بتعليم زوجها السيدة حفصة القراءة والكتابة ضاربا بذلك أحسن الأمثال لأمته في وجوب تعليم الفتيات .

وقد خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين : أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ، ويرغبون اليه ، وفي الثانى جماعة يعلمون الناس فقال : (اما هؤلاء فيسألون الله فان شاء اعطاهم وان شاء منهم ، واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما) ثم عدل اليهم وجلس معهم وبذلك ضرب النبي لنا خير مثل في تشجيع العلم ونشر التعليم والاشادة بفضل المعلمين . وحسبك أن تعلم أن العلم في نظر الرسول الكريم قوام الدنيا وقوام الدين حيث قال : (من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن ارادهما معا فعليه بالعلم) وقال أيضا . (الناس رجلان : عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما) . وقال صلى الله عليه وسلم : (لموت قبيلة أيسر من موت عالم) . وقال : (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب) . وقال : (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) . وقال : (تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لأهله قربة) . وكلها أحاديث تشيد بفضل العلماء العاملين وتحث على طلب العلم وتدل على أن الاسلام يطالب بالتعليم ونشر العلم والتخلص من الجهل والامية .

وفي الاثر : أفضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه .

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لكميل : ياكميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه . والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق . وقال أيضا : العالم افضل من الصائم القائم المجاهد وقال نظام :

ما الفخر الا لأهل العلم أنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسمه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففر بعلم تعيش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال ايضا ، وأشار الى صدره : ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها
حملة • وقد صدق رضى الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار •

وقال عمر رضى الله عنه : يأبها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه
رداء يحب فمّن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه • ولا عجب
فبالعلم تحيا القلوب بنور الحكمة كما تحيا الارض بوابل السماء •

وقال بعض الحكماء : اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى
الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره • وقيل • كن عالما أو متعلما أو مستعلما
ولا تكن جاهلا فتهلك •

وقال الحسن رضى الله عنه : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم •
وهو يقصد أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد الحيوانية الى حد
الانسانية •

وقيل : تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته
تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة
وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر
على انسراء الضر • • والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به
أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص
آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم • وبأجنتها تمسحهم
لان العلم حياة القلوب ونور الابصار ، به يبلغ الانسان منازل الابرار وبه
يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه يوحد وبه يمجد وبه توصل
الارحام ويلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء •

وقد خير حكيم من كبار الحكماء بين المال والملك والعلم •

فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم • وقد رأى ابن
مسكويه والغزالي - وهما من علماء الاسلام - ان العلم غذاء للروح وغذاء
للعقل وعد ابن خلدون العلم والتعليم طبيعيا فى العمران البشرى وقال :
(ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات فى حيوانيته من الحس والحركة
والغذاء • • وغير ذلك وانما تميز عنها بالفكر • • وعن هذا الفكر تنشأ
العلوم والصناعات) •

وكان الخلفاء من المسلمين يجلون الادباء والعلماء ويغدقون عليهم المنح والعطايا ، ومما يدل على اجلالهم للعلم انهم يحثون أبناءهم على تلقيه ويرغبونهم فيه فهذا عبد الملك بن مروان يوصي ابنائه فيقول : (يا بني تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم) ، فالتعليم في نظره يجعل السادة فائقين ويصير المتوسطين سادة ويمكن السوقة من كسب العيش والحياة .

وذاك مصعب بن الزبير يقول لابنه : تعلم العلم فان لم يكن لك جمال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا . فالعلم زينة من لازينة له ومال من لامال له .

وذلكم الرشيد يعهد الى سيبويه بتأديب ابنه المأمون والى الاحمر وهو على بن الحسن بتأديب ابنه الامين . ومن وصيته التي يجب على المربين أن يتخذوها نبراسا لهم في تربية أبنائهم : (يا احمر ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمره قلبه فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة فكن له حيث وضعك أمير المؤمنين . أقرئه القرآن وعرفه الاخبار وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا في أوقاته وخذه بتعظيم بنى هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه . ولا تمرن بك ساعة الا وانت مقتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة) وفي هذه الوصية تتمثل الحكمة وسداد الرأي فهي تشير الى منهج من أحسن المناهج الدراسية للمعاهد الثانوية فمن قراءة للقرآن الكريم الى دراسة للتاريخ والاخبار ، ومن رواية للادب والاشعار الى تعلم السنن . ودراسة اللغة وبلاغتها ومن تربية دينية وأدبية وعلمية الى تربية خلقية واجتماعية . وان الجزء الاخير من الرصية خير دستور في المعاملة الطبيعية والعقوبة المدرسية حيث يقول : ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه . وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة .

وقد أفاض الحكماء والادباء والفلاسفة في هذا السبيل . فالغزالي يقول : (من أصاب علما فاستفاده وأفاده كان كالشمس تضيء لنفسهـاـ ولغيرها وهي مضيئة) وليس يغيب عن ذهننا ما قاله بعض حكماء الاسلام: (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد ، اطلبوا العلم ولو بالصين) .

وقيل لأبي عمرو بن العلاء : (هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال :
(إن كان يحسن أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم) ، ولا شك أن الطفل
أولى من الشيخ في التعلم .

وقال الغزالي رحمه الله (١) العلم يقتنى كما يقتنى المال . فمن علم
وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء ، فإنه . . . كالمسك
الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتري الذي يفيد غيره
وهو خال عن العلم كالمسن الذي يشجذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكس
غيرها وهم عارية وذباله المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل :

ما هو الا ذباله وقدت تضيء للناس وهي تحترق

وقد قيل في الاثر : تعلموا العلم فإنه سبب الى الدين ومنبه للرجل
ومؤنس للوحشة وصاحب في الغربية ووصلة في المجالس وجالب للمال
وذريعة في طلب الحاجة فأثار العلم انه يؤدي الى الدين اذا عمل به وينبه
الانسان الى ما ينفعه وما يضره ويؤنسه في راحته ووحشته ، ويكون صديقا
له في غربته ووصلة له في المجالس والمنتديات ويجلب له المال ويكون
وسيلة لطلب ما يحتاج اليه . وهي فوائد جلية وآثار عظيمة .

قال الشاعر :

يعد رفيع القوم من كان عالما وان لم يكن في قومه بحبيب
وان حل أرضا عاش فيها بعلمه وما عالم في بلده بغريب

فالعالم - وان كان ذا أصل وضع - يعد في نظر الاسلام رفيعا
حسبيا لان الدين الاسلامي لا يفكر في نسب أو حسب ولكنه يفكر في
علم وعمل وتقوى وطهارة . واذا نزل بأرض استطاع أن يعيش فيها
بعلمه وليس العالم غريبا في أية بلدة من البلاد ، فالعلم أساس للنجاح في
هذه الحياة به يستطيع الفقير أن يصل الى أكبر مركز وأعلى منصب في الدول
الاسلامية . فبالعلم والتعليم قلت الفروق الاجتماعية في الاسلام وظهرت
المساواة في تكافؤ الفرص ولم يكن الفقر أو وضاعة النشأة عقبة في
الوصول الى المراتب السامية والمناصب العالية في العالم الاسلامي لان
الاسلام دين الديمقراطية الحق والعدالة المطلقة والمساواة التامة .

ان الفتى من يقول هانذا ليس الفتى من يقول كان أبى

فالمسلمون يحكم عليهم بعلمهم وعملهم لا بمولدهم وعنصرهم وأصلهم

(١) ارجع الى الاحياء ج ١ صفحة ٤٩ .

ولا تأثير للآباء والاجداد والاحساب والانساب والبنى والفقر فى الحصول على المراكز الرفيعة فى الاسلام . فالعدالة واجبة . ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح والكفاية العلمية والخلقية .

ولا جدال فى أن التعليم حق من حقوق الانسان وضرورة من ضرورات الحياة كالماء والهواء والغذاء فاذا أراد أن يعيش ويحيا وجب عليه أن يتعلم ووجب علينا القيام بتعليمه .

واذا المعارف أشرقت فى أمة نالت أمانيتها بغير توان

فاذا انتشر التعليم فى أمة من الامم نالت أمانيتها وحريتها واستقلالها وما استطاع مستعمر أن يقف فى سبيلها . فالتعليم أفضل شئ يملكه افضل الرجال ، وخير وسيلة للنهوض بالامم المتخلفة واحسن منحة يمكن أن تمنح . والجهل أس الرذائل . فحياة الجهل موت . . . والانسان فى حاجة الى العلم لان العلم وسيلة الحياة .

لهذا كان علماء الاسلام يشجعون الطلاب على الدراسة والتعلم وجمع الحقائق واستنباط الآراء والافكار وتطبيقها عمليا ويحثونهم على الرحيل والسفر الطويل فى سبيل طلب العلم والمعرفة .

لماذا أمر الدين الاسلامى بالتعليم ؟

لقد أمر الاسلام بالتعليم فى أول آية نزلت على الرسول الكريم لانه اول الواجبات واكبر وسيلة للرقى واصلاح العالم والشعوب اذا صحب العلم العمل به . قال الغزالى : لو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لاتفيده الا بالعمل . ولو قرأت العلم مائة ألف سنة . وجمعت ألف كتاب لانتكون مستعدا لرحمة الله الا بالعمل فالغزالى لا يكتفى بالعلم ولكنه يؤكد أهمية العمل بالعلم . ويبدو ذلك من قوله « الناس كلهم هلكى الا العالمين . والعالمون كلهم هلكى الا العاملين . والعاملون كلهم هلكى الا المخلصين » فهو يتطلب من المسلم أن يتعلم ويعمل بما يعلم ويخلص فى عمله . ويقصد بالعمل صقل مرآة القلب عن قاذورات الدنيا وخبائث الاخلاق والتحلل بالاخلاق الحميدة من الصبر والشكر وحسن الخلق وطيب المعاشرة والاخلاص والزهد والتقوى واجتناب الصفات الذميمة من الجزع ونكران الجميل والحسد والحقد والغش والفخر والخيلاء والكبر والرياء . .

وقد شعر فلاسفة الاسلام بأثر العمل فى تثبيت العلم وزيادة أثره

قال الرسول الكريم «وانما يزهد الرجل في علم يعلم قلة انتفاعه بما علم» وقال النمرى القرطبي في جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١١٨ ان عالما من المسلمين قال : (أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر) بمعنى أن الانسان ينوى التعلم ويقصده ثم يستمع لما يقوله العلماء ، ثم يفهم أقوالهم ثم يحفظها ثم يعمل بما تعلمه ثم ينشر ما تعلمه من الآراء والافكار بين الناس . وهذا هو المثل الأسمى في التربية والتعليم .

ولسنا في حاجة الى أن نذكر ثمرات العلم والتعليم ومضار الجهل والامية فمن المحال أن ترقى أمة من الامم الا بتعميم التعليم . ولا وسيلة لانقاذ الناس من شر الجهل والرذيلة الا بالعلم والعمل فالمدينة والحضارة والتقدم في العلم والاختراع والابداع الذي نراه بأعيننا في الامم الراقية نتيجة التربية العامة والتعليم المنتشر بين جميع الطبقات .

وينبغي أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله . وكل من تناول شيئا وقال للناس : لا تتناولوه فانه سم قاتل ، سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل الظل من العود . ومتى استوى الظل والعود أعوج ؟ ولذلك قيل في هذا المعنى :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ؟ ولذلك كان وذر العالم في معاصيه أكبر من وذر الجاهل اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به . ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها . ولذلك قال علي كرم الله وجهه : قصم ظهري رجلا : عالم متهتك وجاهل متنسك ، فالعالم يغر الناس بتهتكه والجاهل يغرهم بتنسكه . قال صلى الله عليه وسلم : (لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا) وقال أيضا : (من ازداد علما ولم يزد هدى ، لم يزد من الله الا بعدا) .

وقال عمر رضي الله عنه : ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المناقق العليم . قالوا : وكيف يكون منافقا عليما ؟

قال : عليم اللسان ، جاهل القلب والعمل .

وقال الحسن - رحمه الله - لاتكن ممن يجمع علم العلماء وطوائف الحكماء ويجرى في العمل مجرى السفهاء . وقال رجل لأبي هريرة رضي الله

عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه . فقال : كفى بترك العلم
إضاعة له .

وقال تعالى : «كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» . وقال ابر
الدرداء رضى الله عنه : ويل لمن لا يعلم مرة ، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع
مرات . وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال : حدثني عشرة
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : كنا ندرس العلم في
مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (تعلموا
ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا ، فالدين الاسلامي يأمر
بطلب العلم والعمل بما نعلم . فالعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر .

قال الشاعر :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا فالموبقات لعمري انت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها وانت أكثر منهم رغبة فيها

وقد قيل : لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم . ومثل
الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر
حملها فافتضحت : فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة
على رؤوس الاشهاد .

كثيرا ما نسمع نقدا مرا عن انتشار أمراض البلهارسيا والانكلستوما
في البلاد ، وكثرة السائلين والمعجزة وفاقدى البصر حتى بلغت نسبة فقد
البصر عندنا أكثر من أية نسبة في العالم ولسمع أيضا عن فساد الاخلاق
وكثرة الحوادث والجرائم . ولو علمنا الامة تعليما حقا لارتفع المستوى
الصحي والخلقي والاجتماعي . وقد أحسنت وزارة التربية والتعليم في
جعلها التعليم الاعدادي والثانوي بالمجان حتى يشمل الفقراء والاغنياء ولا
يحرم أحد التعليم بسبب الفقر . ومن الواجب أن نعلم كل فرد في
الجمهورية العربية المتحدة ويتعلم كل شخص في العالم الاسلامي والعالم
العربي فان العلم سبيل الحرية والغنى والرقى والنهضة .

يجب أن نعلم الامة حتى يقل الفقراء منها ولا نسمح للاطفال بالعمل
الا بعد التعليم . يجب أن نعلمهم حتى نعدهم للكسب ولحياة أحسن من
الحياة التي يعيشونها غير متعلمين . يجب أن نعلمهم التعليم النظري أولا
ثم الصناعي أو الزراعي أو التجاري ثانيا ونبحث لهم عن عمل يسرون فيه
بعد معرفتهم حرفة من الحرف ، أو صناعة من الصناعات حتى تقضى على

الجهل والفقر والمرض ولا يقبر ذكاء فرد واحد من أبناء الجمهورية العربية المتحدة .

انكم ان فعلتم ذلك نشأ الجيل الجديد نشأه صالحة فسلم جسمه وحصف عقله وكمل خلقه واستطاع أن يحقق لأمتة ماتصبوا اليه نفسها من مجد مؤثّل وعزة خالدة .

ولكى تعيد البلاد الاسلامية والعربية والشرقية مجدها القديم وعظمتها السالفة يجب أن تعمل على نشر التعليم وتعميمه بها فالجهل علة العلل وهو السبب الاول فى التخلف عن الايام الاولى أيام المجد والعظمة . والتعليم هو الوسيلة للرقى فى كل ناحية من النواحي والاسلام دين العلم والنور ولا عيب فى الاسلام ، فالاسلام يطالب بتعليم الرجل وتعليم المرأة . وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة كما يقول الرسول الكريم فمتى يأتى اليوم الذى يعم فيه التعليم فى العالم الاسلامى كله ؟ ومتى نقضى على الجهل والامية ؟ ومتى نحتفل بدفن آخر أمى من الجمهورية العربية المتحدة والوطن العربى .